

النسق الذكوري والأنثوي في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح

The masculine and feminine style in the novel Season of Migration to the North by Tayeb Salah

د. أسية داحو*

جامعة لونيبي علي البلدية 2، (الجزائر)، assiadahou@yahoo.com

تاريخ الارسال 2023-11-18 تاريخ القبول 2024-01-06 تاريخ النشر 2024-12-31

ملخص:

عرفت الدراسات النقدية تطوراً مذهباً، محاولة في كل مرة تقديم نشاط قرائي يهدف إلى فهم المنجز الإبداعي، ومع ظهور فلسفات ما بعد الحداثة أضحت كل نص في جمالي يطن غير ما يظهر، ومرّد كل ذلك إلى تفعيل آليات التماهي والتورية ليحشو نصّه أنساقاً ثقافية، وهو ما تلمسته في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" لصاحبها "الطيب صالح" كنموذج للرواية العربية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: الذكوري، الأنثوي، النسق، الثقافة.

Abstract :

Critical studies have witnessed an amazing development, each time trying to present a reading activity aimed at understanding the creative achievement, and with the emergence of post-modernist philosophies, every aesthetic artistic text has hidden something other than what it appears, and all of this is due to the activation of the mechanisms of identification and puns to fill its text with cultural patterns, which is what I sensed it in the novel "Season of Migration to the North" by its author, Tayeb Salih, as a model for the contemporary Arabic novel.

Keywords: Masculine, feminine, style, culture.

1. مقدمة:

نالت الرواية العربية حضوراً كبيراً من قبل النقاد في العصر الحديث، لما تعالجه من موضوعات وقضايا جديدة، تمس عمق المجتمع وكيان الإنسانية، حيث تعمقت في التعبير عن الرؤى والتصوّات، والانفعالات والاحباطات والنجاحات من خلال إبراز مختلف الأنساق الثقافية، التي تكشف عن العلاقة القوية بين الرواية والمجتمع، وقد نالت الرواية العربية اهتماماً لما تضمنته من قضايا يعاني منها المجتمع ويحاول معالجتها والخروج منها من خلال الولوج إلى عالم بطريقة غير مباشرة الرواية وذلك يتضمن رواياتهم مختلف الأنساق الثقافية، التي اعتمدها الروائيون كشكل من أشكال المقاومة والمواجهة والهروب والهيمنة والتصدي للفكر الكولونيالي والاستبداد، بغية معالجة مختلف الضغوطات التي يعاني منها المجتمع وخاصة الإيديولوجية منها.

وإذا كان النص الإبداعي محملاً بالقيم الثقافية فإن الرواية بصفة خاصة وباعتبارها شكلاً من أشكال الثقافة تزخر بأنساق ثقافية عديدة، ولعل رواية "موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح" باعتبارها نموذجاً قد وظف فيها الروائي عدة أنساق ثقافية لنكتفي في هذه الدراسة التطرق للنسق الذكوري والأنثوي، وعليه أين يتجلى النسق الذكوري والأنثوي في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح؟

2. مفهوم الثقافة

لغة: ورد في لسان العرب مادة: (ث ق ف) "ثقف الشيء ثقفاً وثقوفه، حذقه (...) رجل ثقف ولقف وثقيف لقيف بين الثقافة واللّقاء، وثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقاً خفيماً ومنه المثاقفة وثقفتنا فلاناً في موضع كذا أي أخذناه منه". (1)

ففي القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ (2) وقوله تعالى أيضاً: ﴿إِنْ يَتَّقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ (3)

ومنه قول الشاعر: فَإِمَّا تَثَقَّفُونِي فَأَقْتُلُونِي *** فَإِنْ أَتَقَّفَ فَسَوْفَ تَرَوْنَ بَالِي

والثقاف والثقافة العمل بالسيف (...) والثقاف جديدة تكون مع الأقواس وارما حبها الشيء المعوج. (4) أما اصطلاحاً: فتعريفها متعدد، حيث نجد العديد من النقاد سواء العرب أو الغرب.

أما عند العرب فنجد سلامة موسى أول من أطلق لفظ ثقافة معناه الأوروبي كقابل للفظ (CULTURE) في اللغة العربية، تأثر بالمدرسة الألمانية في ربط الثقافة بالأمور الثقافية الذهنية فالثقافة هي إدراك الفرد والمجتمع للعلوم والمعرفة في شتى مجالات الحياة.

فكلما زاد نشاط الفرد ومطالعه واكتسابه الخبرة في الحياة زاد معدل الوعي الثقافي لديه وأصبح عنصر في بناء المجتمع. (5)

الثقافة على حسب محمد علي حسن غامري: (هي كل ما تتعلمه من الآخرين، وتضيفه إلى الثقافة ولذلك أشار إلى "تايلور" إلى هذه العملية بكلمات المعتقدات، والعادات المكتسبة بفعل الإنسان). (6)

بالنسبة للمنظور الغربي نجد "إيجلتون" يعرف الثقافة على أنها: (ليست فقط في ما نعيش به، إنها أيضاً وإلى حد كبير ما نحيا من أجله، الوجدان، العلاقة، الذاكرة، القرابة، المكان، المجتمع، الإشباع العاطفي، البهجة الفكرية)، فالثقافة هي ليست مجرد حزمة من أنماط وسلوك وطرق العيش إنما هي منفتحة على كل ما نحيا وما نعيش لأجله. (7)

نجد تعريف "إدوارد تايلور" الذي قدمته في أواخر القرن 19 في كتابه عن "الثقافة البدئية" والذي يذهب فيه إلى أنّ الثقافة (هي كل موكب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون، الأخلاق، القانون، والعرف وغير ذلك من الإمكانات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع). (8)

من خلال ماسبق، يمكن أن نعرف الثقافة كما يلي:

- أنها رؤية شاملة تشتمل على المعرفة، الفن، الأخلاق، القانون، الأدب.
- أنها مجموعة من العادات والأفكار التي يحتضنها أفراد المجتمع.
- أنها تنظيم يقوم على التفاعل الاجتماعي بين الأفراد، ووظيفتها توجيه سلوك هؤلاء الأفراد.

3. مفهوم النسق

لغة: وردت لفظة النسق في مادة "النسق" في لسان العرب ابن منظور يقول: "النسق في كل شيء وما كان على طريقة ونظام واحد عام في الأشياء وقد نسقه تنسيقاً". (9)

فقد وردت كلمة نسق في معجم الوسيط بمعنى نسق الشيء، نسقاً: نظمته، يقال: نسق الدر، ونسق كُتبه، والكلام عطف بعض على بعض.

و(النسق): ما كان على نظام واحد من كل شيء، يقال: جاء القوم نسقاً، وزرعت الأشجار نسقاً، ويقال: شعر نسق: مستوى البنية حسن التركيب، ودر نسق، منتظم والمنسوق، ويقال: كلام نسق: متلائم على نظام واحد، و(حروف النسق): حرف العطف. (10)

جاء في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي أن: (النسق من كل شيء ما كان على نظام واحد عام في الأشياء، ونسقته نسقاً، ونسقته تنسيقاً، وتقول: أنسقت هذه الأشياء إلى بعض أي نسقته). (11)

وبالتالي فإن الدلالة اللغوية لمصطلح الأنساق يمكن تحديد معناها في اللغة بأنظمة الأشياء أو تتابعها وتاليها في نظام واحد.

أما في الإصطلاح: يرى عبد الله الغدامي أن استخدام كلمة (النسق) كثيراً في الخطاب العام والخاص، وهو كلمة شائعة حتى أن تعرض للتشويش، وتبدأ بسيطة كأن تعني ما كان على نظام واحد، كما في تعريف المعجم الوسيط، وقد تأتي مرادفة لمعنى (البنية - Structure) أو معنى (النظام - System) حسب مصطلح ديسوسير. واجتهد باحثون عرب في تصميم مفهومهم الخاص للنسق. (12)

أما مفهوم النسق عند جميل حمداوي فهو "نظام متكامل ومترابط من الأبنية النظرية التي يكونها الفكر حول موضوع ما، ويدلّ النسق أيضاً على مجموعة من القواعد والمبادئ والفرضيات والمسلمات التي تكون نظرية أو نظاماً، جاهزاً علمياً كلياً، مثل النسق النيوتني في الفيزياء". (13)

كما يذكر محمد مفتاح أن "النسق هو ما يتولد على مجرى واحد وفق نظام واحد، وتتابع وترابط العناصر وتاليها في نظام واحد، وقد لا يتعد معنى النسق في معناه اللساني عن النسق في المعنى النقدي (النسق مكون من مجموعة من العناصر أو الأجزاء التي يترابط بعضها ببعض مع وجود مميز بين كل عنصر وآخر". (14)

من هنا نستطيع القول أن النسق هو عنصر له نظام وانتظام، وله وظيفة تعمل ضمن وظيفته جامعة لكل عناصر البيئة.

4. مفهوم النسق الثقافي

يطرق عبد الله الغدامي تعريفاً في شروحه النقدي الأنساق الثقافية من خلال تحديد وظيفته أولاً، (يتحدث النسق عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيّد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمّر، ويكون المضمّر ناقصاً وناسخاً للظاهر ويكون ذلك في نصّ واحد، ويشترط في النص أن يكون جمالياً، وأن يكون جماهيرياً، الجمالي هو ما اعتبرته الرعية الثقافية جميلاً). (15)

يقدم عبد الفتاح أحمد يوسف تعريف مباشر للأنساق الثقافية: "إنّ الأنساق الثقافية هي قوانين وتشريعات أرضية من صنع الأنساق، فمقابل التعاليم السماوية التي أنزلها الله تعالى في الأديان ووضعها الإنسان لضبط نفسه ولتصريف أموره في الحياة، وربط الأنساق الثقافية بإشكالية الإنسان مع الحياة بصفة عامة". (16)

ونرجع إلى عبد الله الغدامي في تعريفه لمصطلح النسق الثقافي في قوله "والأنساق الثقافية هذه أنساق تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائماً، وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق، وقد يكون ذلك في الأغاني والأزياء، الحكايات والأمثال مثلما هو في الأشعار، والإشاعات والنكت. كلّ هذه الوسائل هي حيل بلاغية جمالية تعتمد على المجاز، وينطوي تحتها شق ثقافي، ونحن نستقبله لتوافقه السري، وتوطئه مع نسق قلم مغرس فينا. (17)

5. أنواع الأنساق الثقافية

1.5 النسق الديني: من أشهر التعريفات وأكثرها تداولاً لمصطلح "الدين" ما نسب للتهانوي في قوله "هو وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصّلاح في الحال والفلاح في المال وهذا يشمل العقائد والأعمال ويطلق على كلّ ملة بني وقد يخصّ الإسلام كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ ويضاف إلى عزّ وجلّ لصدوره عنه وإلى النّبّي لظهوره منه وإلى الأمة لتدينهم وانقيادهم له". (18)

فالدّين هو تلك العلاقة الروحية بين الخالق والعابد والخضوع والاعتقاد والإيمان بتلك القوى الغيبية.

2.5 النسق الاجتماعي: يعدّ عالم الاجتماع الأمريكي "تالكوت بارسونز" أول من تطرّق إلى تعريف النسق الاجتماعي يقول: "نظام ينطوي على أفراد فاعلين تحدّد علاقاتهم بمواقفهم وأدوارهم التي تنبع من الرموز المشتركة والمقرّرة ثقافياً". (19)

وعليه النسق الاجتماعي عنصر له نظام وانتظام ووظيفة تعمل ضمن وظيفته جامعة لكلّ عناصر البيئة.

3.5 النسق السياسي: شكّلت السياسة بتنوّعها محوراً هاماً شغل الأدباء والروائيين الجزائريين إذ كانت حاضرة بشكل ملفت للانتباه في نصوصهم السردية عبر مختلف الحقب والمراحل خاصة في فترة التسعينات التي دخلت فيها البلاد في أزمة سياسية صبغت بالدموية، كانت مادّة دسمة لهؤلاء المبدعين طرحوا من خلالها أفكارهم

وتوجهاتهم وثقافتهم على اختلافها، فمنهم من صرّح بأفكاره وتوجهاته بشجاعة ومنهم من أضمرها واستعمل الرّمز والإحالات.

"لقد أصبحت السياسة متحكمة في حياة الإنسان المعاصر كلّها ومسيطرة على قضاياها المصيرية ومتغلغلة في جميع شؤون الحياة دقيقها وجليلها، وترتّب عن ذلك أن تغلّغت في الأدب عمومًا وفي الرواية خصوصًا، وأصبحت معظم الروايات تحمل دلالات سياسية حتى وإن لم تشر إلى ذلك". (20)

4.5 النسق الأنثوي

لغة: "الأنثى: خلاف الذكر من كل شيء، والجمع إناث وأنثى جمع إناث، إنّ المرأة سمّيت أنثى من البلد الأنثى، قال: لأنّ المرأة ألين من الرجل وسمّيت أنثى للينها". (21)

اصطلاحًا: يهتم مصطلح الأنثوي بالفروق البيولوجية للفصل بين الذكر والأنثى والتعامل معها انطلاقًا من أحكام مؤسسة على تقاليد ذكورية متمركزة، فالاختلاف الجنسي مصدر قوّة لا مصدر دونية. (22)

كلمة أنثوية تستعمل للإشارة إلى ما تفرضه المبادئ الثقافية والاجتماعية من أنماط الجنس والسلوك وهي تشير إذن إلى الثقافة بمعنى مجموعة الصفات المحددة ثقافيًا واجتماعيًا وتاريخيًا. (23)

ومنه فإنّ الأنثوي يشير إلى مجموعة من الصفات المحددة ثقافيًا واجتماعيًا وتاريخيًا المفروضة على النساء ككل.

5.5 النسق الذكوري: عندما نجد تسميات عدّة كالرجولة والفحولة والتذكير، تطلق على أبناء آدم هذه التسميات لا معنى لها دون وجود الطرف المقابل لها ألا وهو الأنثى (المرأة) النصف الثاني المكمل للبشرية، نجد أنّ الذكر خلاف الأنثى، وذكر الشيء حفظه واستحضره وتذكّره، وجرى على لسانه بعد نسيانه.

فالدّكورة جاءت من الدّكر يقال رجل ذكر: قويّ شجاع، وقول ذكر صُلب متين، وشعر ذكر فحل، والدّكورة خلاف الأنوثة. (24)

عزّزت فكرة الدّكورة في الإنسان مبادئ كثيرة منها ما يتجاوز بها المعقول والسّليم فهو كما يرى "عبد الله الغدامي": "نسق منغرس في الوجدان الثقافي، ممّا ربي صورة الطاغية الأوحده (فحل الفحول)". (25)

5.6 النسق المكاني: لقد تعدّدت التعريفات حول مفهوم المكان، وذلك لأهميته الكبيرة في تشكيل البناء السردى، فقد شغل أهمية كبيرة لدى النقاد والأدباء.

يعرّف الباحث السيميائي "يوري لوتمان" المكان بقوله: "هو مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر، أو الحالات، أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة... إلخ)، تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة (مثل الاتصال، المسافة ... إلخ)". (26)

وفي تعريف آخر: "فالمكان وسط يتصف بطبيعة خارجية أجزائه، إذ يتحدّد فيه موضع أو محل إدراكنا وهو يحتوي على كلّ الإمدادات المنتهية، وأنّه نظام تساوق الأشياء في الوجود ومعيتها الحضورية في تلاصق وممارسة وتجاوز وتقارن". (27)

فيمكن القول أن المكان نظام من العلاقات الوثيقة فضلاً عما يوصله من الإحساس بمغزى الحياة، من خلال وظيفته كونه مركزاً للحدث وعنواناً للشخصية يبرز سماتها وانتماؤها الاجتماعي فضلاً عن تحميله للأفكار والمشاعر، كما أنه يؤثر ويتأثر منذ بدايته إلى نهايته.

7.5 التسق الغيري (الأنا والآخر)

تشكل العلاقة بين "الأنا والآخر" جدلاً قائماً في الثقافة والإبداع، وهي علاقة متواشجة تقوم في الواقع الإنساني العام على أساس التعارض يصل في كثير من الأحيان إلى درجة التضاد، وقد طغت هذه الثنائية في الأعمال السردية العربية انطلاقاً من الشعور بضيق الهوية لتبدأ في البحث عن ذاتها المفقودة أمام الآخر المسيطر عالمياً، الذي يشكل وجود ضرورة في حياة الأنا الجماعية.

يرى سارتر أن وجود الغير ضروري من أجل وجود الأنا ومعرفته لذاته، ومن هنا فالغير عنصر مكوّن للأنا ولا غنى له عنه في وجوده، غير أن العلاقة الموجودة بينهما هي علاقة خارجية وانفصالية ينعدم فيها التواصل مادام يعامل بعضهما البعض كشيء وليس كأنا آخر. (28)

"إنّ الآخر هو المختلف في الجنس أو الانتماء الديني أو الفكري أو العرقي، وتوضح إشكالية الأنا (العربية، الإسلامية) والآخر الغربي بسبب سوء التفاهم والمواجهة السياسية والعسكرية، أما علاقة الذات به من الناحية الثقافية والاقتصادية والتقنية، فقد بدت ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها". (29)

"إنّ الذات تتشكل ويعاد تشكيلها في المواجهة مع الآخر، وإنّ استجابة الآخر هو ما يساعد على تكوين الذات والتعرّف على الآخر مرة أخرى، وحتى يتمكن من الرد سواء بالقبول أو الرفض، فرغبة الإنسان مرتبطة برغبة الآخر، لأنّ الآخر يمسك مفتاح الموضوع المرغوب فيه". (30)

من خلال هذا القول نرى أنّ الذات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالآخر، فلا وجود لذات دون وجود الآخر، فالآخر هو الركيزة الأساسية في تكوين الذات الإنسانية، فالإدراك الحقيقي للأنا مرتبط بالاختلاف مع الآخر.

6. التسق الأنثوي في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح

احتل وجود المرأة مساحة كبيرة من الاهتمام في ميادين مختلفة، انطلاقاً من معطيات اجتماعية، دينية وسياسية، حيث استطاعت المرأة أن تثبت وجودها كعنصر فعال في المجتمع فهي تبقى النصف الآخر فيه الذي يدعو إلى النضال من أجل إثبات الذات والتحرر بالعلم والعمل.

لقد تجسّدت صورة المرأة في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" في شخصية "حسنة بنت محمود" أرملة مصطفى سعيد، من الواضح أنّ هذه الشخصية طيبة وذات أخلاق، يتجلّى ذلك في الرواية من خلال هذا القول: "امرأة نبيلة الوقفة، أجنبية الحسن" (31)؛ ليس عبثاً اختيار الطيب صالح اسم "حسنة" هي الوجه المشرق الذي رفض الظلم والظلام برفضه للقوالب الاجتماعية، فلاحظ أنّ حسنة حاولت تغيير هذه القوالب فدفعت الثمن مفضلة

ذلك على الرضوخ لها، ولما فشلت في محاولتها كإشارة إلى قوة تلك القوالب الجاهزة وتغلغلها في المجتمع السوداني (العربي)، أثارت النهاية المأساوية بقتل ود الرئيس وانتحارها.

أما النسق الثاني الذي نجده في الرواية هو "السيدة روبنسن" التي عرفها مصطفى سعيد في القاهرة، المرأة الغربية متمثلة في (إليزابيث) التي كانت بمثابة أمّه الروحية " لم أجد صدرًا غير صدرها أسند رأسي عليه، ربتت على رأسي وقالت: لا تبكي يا طفلي العزيز" (32).

من خلال هذا القول يبيّن لنا الراوي أنّ السيدة روبنسن أقامت معه علاقة حبّ إنسانية، لقد أحبته كجزء من الشرق، وكانت تحنّ عليه كأنّه ابنها.

ونجد أيضًا: "آن همند" التي تعرّفت إلى مصطفى سعيد لأنّه حرّك فيها هذا الحنين إلى الشرق عن طريق أشعار الجون لأبي نواس في قوله: " قرأت لها من شعر أبي نواس:

أما يسرُّك أنّ الررضَ زهراء *** والحمُرُ مُمكنَةٌ شَمطاء عذراء

ما في فُعودك عُدُرٌ عن مُعتَقَةٍ *** كالليل والدُّها والأُمُّ خَضراء

بادِرْ فإنَّ جِنانَ الكَرخِ مونيّةٌ *** لم تلتَقِها يدٌ للحربِ عسراء (33)

آن همند تقمصت شخصية (سوسن) ولعب هو دور السيد، لكنها في النهاية انتحرت بالغاز تاركة ورقة صغيرة باسم مصطفى سعيد فيها هذه العبارة " مستر سعيد، لعنة الله عليك " (34).

ثمّ يصور لنا الروائي شخصية "شيلة عربنود" خادمة في مطعم في سوهاو " كانت تعمل في النهار وتواصل دراستها في الليل، ذكية، تؤمن بمستقبل الطبقة العاملة وانعدام الفروق فيصير الناس كلّهم أخوة " (35)، رغم أنّها لا تبالي فهي تعترف أنّها بنت المجتمع المعادي الرافض للشرق "أمي ستجنّ، وأبي سيقتلني، إذا علما أنّي أحبّ رجلاً أسود، ولكنني لا أبالي " (36).

فهي المرأة أغراها مصطفى سعيد فأحبته: "دخلت غرفة نومه بتولا بكراً، وخرجت تحمل جرثومة المرض في دمها" (37)، وبعدها انتحرت بسبب مصطفى سعيد.

كذلك نجد شخصية "إيزابيلا سيمور" التي تختصر أوصافها في قول الروائي: " مستديرة الوجه تميل إلى البدانة " (38)، ومن الواضح أنّ هذه الشخصية طيبة وذلك من خلال هذا القول: " طيبة ومتفائلة بالحياة " (39)، فهي زوجة وأمّ وهذا يظهر من خلال قول الروائي: " زوجة جراح وأمّ لبنتين " (40)، فكانت امرأة متحفظة وكريمة " لا تتردد إلى الكنيسة كل يوم أحد كما تساهم في الجمعيات " (41)، فأحبّت مصطفى سعيد مضحية بأسرتها غير أنّ سعادتها لم تدم فانتحرت هي الأخرى وتركت له رسالة تقول فيها: " إذا كان في السماء إله، فأنا متأكدة أنّه سينظر بعين العطف إلى طيش امرأة مسكينة لم تستطع أن تمنع السعادة من دخول قلبها، ولو كان في ذلك إخلال بالعرف وجرح لكبرياء زوج، ليسامحني الله، وبمنحك من السعادة مثل ما منحني " (42)، ويقال أنّ سبب انتحارها هو إصابتها بالسرطان.

ونجد أيضا العشيقة الرابعة لمصطفى سعيد التي هي "جين موريس" جاءت أوصافها في هذا القول: " ذات عينان واسعتان، حاجباها ينعقدان فوقهما، الأنف يميل إلى الكبير، والفم يميل إلى الاتساع والتعبير على الوجه شيء يصعب في كلمات (43).

يدل وصف الروائي لهذه الشخصية أنها فائقة الجمال، فجين موريس هي المرأة التي طاردها "مصطفى سعيد" لم تكن غيرها، امرأة من نوع آخر، جريئة، عنيفة، لا تعرف الرومانسية، أذقت مصطفى الإهانة، حتى أنها كانت تحتقر شكله "أنت بشع لم أرى في حياتي وجها بشعا كوجهك" (44)، إلا أنه لم يمل من مطاردتها، وفي الأخير قتلته بسبب معاملتها السيئة له، وأهانته بأنه إفريقي أسود وأنها تستطيع الاستغناء عنه متى شاءت.

نجد كذلك نسقا أنثوي آخر ويتجسد في شخصية والدته البطل "مصطفى سعيد"، تلك الأم التي ألغيت شخصيتها ووجودها من الساحة الاجتماعية، وفقدت سلطتها على ابنها بمجرد وفاة زوجها، وهذا يتضح في قولها لابنها وهي تودعه للسفر: "لو أن أباك عاش، لما اختار لك غير ما اخترته لنفسك، افعل ما تشاء، أو ابق، أنت وشأنك، إنها حياتك، وأنت حرّ فيها" (45).

وفي الأخير نستنتج أن النساء الأربعة (آن همد، شيلا غرينود، إيزابيلا سيمور، جين موريس) كانوا ضحايا "مصطفى سعيد" كل واحد منهم يقيم علاقة جنسية معها ثم يتركها لينتهي الأمر بها إلى قتل نفسها بنفسها إلا جين موريس يضطر إلى قتلها، فسلوك "مصطفى سعيد" كأنه رد فعل وانتقام من الغرب ورد الاعتبار الشرق.

7. النسق الذكوري

لقد طغى النسق الذكوري في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح، حيث نحاول أن نستخرج الأنساق الذكورية من هذه الرواية فنجد:

الشخصية الأهم هي شخصية "مصطفى سعيد" بطل الرواية، يعتبر شخصية أساسية في الرواية، فهو شخصية عجيبة، غريبة الأطوار، متنوعة الأبعاد، وشديدة التوتر، حيث يبدو ذلك من خلال الأحداث التي واجهها في حياته "مصطفى سعيد" من مواليد الخرطوم 16 أوت عام 1898... الأب متوفي، الأم فاطمة عبد الصادق (46) توفي والده قبل ولادته ولم يبق سوى أمه التي "كانت كأنها شخص غريب جمعتني به الظروف صدفة في الطريق" (47) هذا ما جعله يحس أنه مختلف لا يؤثر به شيء، وعندما يكبر يقرر الالتحاق بالمدرسة للتعليم، هو كان شخصا كثير التأمل والإثارة وأظهر للجميع مدى تفوقه وذكائه الذي كانوا ملفتين للنظر، ورأى فيه المعلمون أنه معجزة نظرا لبوغه وتفوقه في المدرسة، حتى تحول إلى أسطورة يحكي عنها الكثيرون.

ونجد كذلك الراوي هو أيضا شخصية رئيسية بعد "مصطفى سعيد"، يعد الراوي مجهول الاسم قريته (ود حامد) الواقعة قرب نهر النيل، في السودان، بعد مرور سبع سنوات قضاها في لندن لغرض الدراسة، كان وكأنه لم يفارق قريته " إذ ما كاد يحلّ بها فتشرق عليه شمس إفريقيا" (48).

إلا أنه لم يشعر بالراحة في بادئ الأمر لتعوده على الحياة الغربية، ولكن ما إن وصل غمره الحنين لدفع العشيرة من جديد فأزاح من عينيه تلك السنوات "فأفقل ذاكرته على إقامته الطويلة بالغرب حتى كأنها لم تكن" (49)، فالراوي كان يمثل الجيل الثالث في الرواية.

نجد أيضًا شخصية الجدّ (جد البطل الراوي) الذي كان له أثر واضح في حياة الراوي "وأذهب إلى جدّي فيحدثني عن الحياة قبل أربعين عامًا، قبل خمسين عامًا، لا بل قبل ثمانين، فيقوى إحساسي بالأمن، كنت أحب جدّي، ويبدو وأنه كان يؤثر في، لعلّ أحد أسباب صداقتي معه، أنني كنت منذ صغري تشحن خيالي حكايات الماضي، وكان جدّي يحب أن يحكي" (50)، فالجدّ كانت شخصيته بسيطة وتقليدية جدًّا، وعاش في مجتمع قروي كان ما بين قبل وبعد الاستعمار.

وهناك نسقًا ذكوريًا آخر نجده في صديق الراوي منذ الطفولة (محبوب)، امتلكت شخصيته حضورًا واسعًا ودورًا فعالًا في الرواية، رافقت الراوي في معظم فترات حياته "كان محبوب في مثل سنّي، قضينا طفولتنا معًا، وكنا نجلس على درجين متلاصقين في المدرسة الأولية، ولما انتهينا من مرحلة التعليم الأولى، قال محبوب هذا القدر من التعليم يكفي" (51)، فتوقف محبوب عن الدراسة في حين أكمل الراوي دراسته وسافر ولكن أصبح محبوب من الأعضاء المهمة في البلد: "وتحوّل محبوب إلى طاقة فعالة في البلد، فهو اليوم رئيس للجنة المشروع الزراعي والجمعية التعاونية، وعضو في لجنة الشفخانة التي كادت تتم، وهو على رأس كلّ وفد يقدم" (52).

تكررت شخصية محبوب ي الكثير من فصول الرواية ذلك لسبب العلاقة الوطيدة التي تربط بينه وبين الراوي. نجد كذلك "ود الرئيس" هو شخص عجوز، أراد الزواج من حسنة بنت محمود أرملة مصطفى سعيد، لكنها رفضت ما أدّى إلى تعصّبه "أخذ يتململ في مقعده وينقر الأرض في عصبية بالغة بعصاه، خلع حذائه من رجله اليمنى ولبسه عدّة مرّات، وكان يتأهب للقيام ثمّ يجلس" (53)، لكنّه أصرّ على الزواج بها فلم يسبق له أن رفض من طرف امرأة خاصّة وأهمّ متمسكين بمعتقداتهم، الرجل رجل مهما بلغ عمره والكلام في مثل هذه الأمور بين الرجال ولا دخل للنساء فيها، فتزوّجها وكان مصيره الموت مقتولًا من طرف (حسنة).

نتائج البحث:

يعتبر النسق الثقافي في الرواية العربية من أهم منطلقات الروائي في كتاباته باعتبار أنّ الرواية هي بوابة عبور الروائي إلى المجتمع وفي ذات الوقت مرآة تعكس حياة الإنسان في شتى مجالاته، فرواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح عينة من الروايات العربية المعاصرة التي مست الحياة الاجتماعية وقرأتها وفق مقاربات وآراء النقد الثقافي، معتمدة في ذلك أساليب وأنساق شدد الباحث للولوج في غمارها، زمن خلال هذا نلمس:

- أنواع مختلفة من الأنساق في رواية موسم الهجرة إلى الشمال منها: النسق الديني، النسق الاجتماعي النسق السياسي الذكوري والأنثوي... إلخ.

- تعدّ رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" من الأعمال العربية الأولى التي تناولت لقاء الثقافات وتفاعلها.

– التّسق في اللّغة العربية لا يخرج عن مفهوم النظام والتلاؤم والتتابع والترابط إذ إنّ عناصره متتابعة ومربوطة ببعضها البعض.

– إنّ الثّقافة ظاهرة مركبة ذات صيغة تأليفية، وهذا ما جعلها تصبح ذات عناصر فاعلة بعضها سلوكي وبعضها مادي.

الهوامش

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، ج 6، 1917، ص 19.
2. سورة البقرة: الآية (191).
3. سورة الممتحنة: الآية (2).
4. ابن منظور، لسان العرب، حرف التاء – (ث ق ف)، ص 684 – 685.
5. سلامة موسى، الثقافة والحضارة، مجلّة الهلال، القاهرة، ديسمبر 1927، ص 52.
6. محمد حسن غامري، المدخل الثقافي في دراسة الشخصية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، دط، 1979، ص 6.
7. تيري إيجلتون، فكرة الثقافة، تر: شوقي جلال، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، دط، 2012، ص 12.
8. مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، تر: د.علي سيد الصاوي، مراجعة: الفاروق زكي يونس، سنة 1978، ص 9.
9. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله الخيزر وآخرون، مادة (ن س ق) دار المعرفة، القاهرة، د.ط، مج 5، ص 4013.
10. إبراهيم أنيس وآخرون، معجم الوسيط، معجم اللّغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط 4، 2004، ص 918-919.
11. الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تر: عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 4، 2003، ص 1، ص 127.
12. يُنظر: عبد الله الغدامي، النّقد الثّقافي: قراءة في الأنساق الثّقافية العربيّة، مركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2005، ص 76.
13. جميل حمداوي، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة (نظرية الأنساق المتعددة)، دار الزين للطبع والنشر الإلكتروني، تطوان، المملكة المغربية، ط 1، 2013، ص 9.
14. محمد فتاح، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1926، ص 158.
15. عبد الله الغدامي، النّقد الثّقافي: قراءة في الأنساق الثّقافية العربيّة، ص 77.
16. عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وشروط الثقافة، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط 1، 2010، ص 150.
17. عبد الله الغدامي، النّقد الثّقافي: قراءة في الأنساق الثّقافية العربيّة، ص 79-80.
18. محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 1996، ص 814.
19. أدب كزويل، عنصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط 1، 1993، ص 411.
20. السعيد زعباط، التّحليل السّياسي في الرّواية الجزائريّة المعاصرة، مجلّة العلوم الإنسانيّة، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ج أ، 2018، ص 342.
21. ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 229.
22. فاطمة حسين العفيف، لغة الشعر النسوي العربي المعاصر، عالم الكتب الحديث، ط 1، 2011، ص 18.
23. نادر القنة، إشكالية المصطلح في المسرح النسائي، مجلة البيان، رابطة الأدباء، الكويت، عدد 401، 2003، ص 130.
24. مجمع اللّغة العربية، معجم الوسيط، جمهورية مصر العربية، ط 4، (مادة الذكر)، ص 313.
25. عبد الله الغدامي، النّقد الثّقافي: قراءة في الأنساق الثّقافيّة، ص 94.
26. محمد بوعزة، تحليل النّص السردي (تقنيات ومفاهيم)، دار الأمان، الجزائر، ط 1، 2010، ص 99.
27. نهان حسون السعدون، شعرية المكان في القصّة القصيرة جدًّا، قراءة تحليلية في المجموعات القصصية، دار تموز، دمشق، ط 1، 2012، ص 19.
28. حلوز جيلالي، علاقة الأنا والآخر في فلسفة جون بول سارتو، مجلّة لوغوس مخبر الفينو مينولوجيا وتطبيقاتها، جامعة تلمسان، العدد 9، 2018، ص 22.

29. ماجدة حمودة، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، مارس 2013، ص 17.
30. يُنظر: عبد المقصود عبد الكريم، جاك لا كان وإغواء التحليل النفسي، دار المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، د.ب، 1999، ص 98.
31. الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، دار العودة بيروت ط13، 1981، ط14 سنة 1987، ص 82.
32. المرجع نفسه، ص 27.
33. نفسه، ص 130.
34. نفسه، ص 132.
35. نفسه، ص 126.
36. نفسه، ص 126.
37. نفسه، ص 34.
38. نفسه، ص 126.
39. نفسه، ص 126.
40. نفسه، ص 126.
41. نفسه، ص 126.
42. نفسه، ص 127.
43. نفسه، ص 139.
44. نفسه، ص 30.
45. نفسه، ص 25.
46. نفسه، ص 19.
47. نفسه، ص 21.
48. نفسه، ص 05.
49. نفسه، ص 05.
50. نفسه، ص 09.
51. نفسه، ص 89 - 90.
52. نفسه، ص 90.
53. نفسه، ص 89.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ث ق ف) دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، ج 6، 1917.
- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله الخيز وآخرون، دار المعرفة، القاهرة، د.ط، مج 5.
- إبراهيم أنيس وآخرون، معجم الوسيط، معجم اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط 4، 2004.
- أديث كريزويل، عنصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط 1، 1993.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تر: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 4، 2003.
- السعيد زعباط، التخييل السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ج أ، 2018.
- الطيب صالح، رواية موسم الهجرة إلى الشمال، دار العودة بيروت ط13، 1981، ط14 سنة 1987.

- تيري إيجلتون، فكرة الثقافة، تر: شوقي جلال، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، دط، 2012.
- حلوز جيلالي، علاقة الأنا والآخر في فلسفة جون بول سارتو، مجلّة لوغوس مخبر الفينو مينولوجيا وتطبيقاتها، جامعة تلمسان، العدد 9، 2018.
- جميل حمداوي، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة (نظرية الأنساق المتعددة)، دار الزين للطبع والنشر الإلكتروني، تطوان، المملكة المغربية، ط 1، 2013.
- سلامة موسى، الثقافة والحضارة، مجلّة الهلال، القاهرة، ديسمبر 1927.
- عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وشروط الثقافة، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط 1، 2010.
- عبد الله الغدامي، التقاد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، مركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 2005.
- عبد المقصود عبد الكريم، جاك لا كان وإغواء التحليل النفسي، دار المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، د.ب، 1999.
- فاطمة حسين العفيف، لغة الشعر النسوي العربي المعاصر، عالم الكتب الحديث، ط 1، 2011.
- ماجدة حمودة، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، مارس 2013.
- محمد بوعزة، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، دار الأمان، الجزائر، ط 1، 2010.
- محمد حسن غامري، المدخل الثقافي في دراسة الشخصية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، دط، 1979.
- محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 1996.
- محمد فتاح، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1926.
- مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، تر: د.علي سيد الصاوي، مراجعة: الفاروق زكي يونس، سنة 1978.
- مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، جمهورية مصر العربية، ط 4، (مادة الذكر). سنة 2005.
- نادر القنة، إشكالية المصطلح في المسرح النسائي، مجلة البيان، رابطة الأدباء، الكويت، عدد 401، 2003.
- نبهان حسون السعدون، شعرية المكان في القصّة القصيرة جدًّا، قراءة تحليلية في المجموعات القصصية، دار تموز، دمشق، ط 1، 2012.